



إن للفتنة معانٍ كثيرة، وإن كانت في الأصل تدل على الاختبار والامتحان والابتلاء، كما قد تطلق الفتنة على إعجابك بالشيء، وهي أيضاً تعني ما يكون بين الناس من الاختلاف والاقتتال في طلب الدنيا أو الملك.

وقد وردت في القرآن بهذه المعاني وبغيرها لكننا هنا نعني بالفتنة ما يصيب الفرد أو الجماعة من هلاك أو تراجع في المستوى الإيماني، أو زعزعة في الصف الإسلامي.

أنواع الفتنة وعلاجها:

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: **الفتنة نوعان: فتنة الشبهات، وفتنة الشهوات.** وقد يجتمعان للعبد، وقد ينفرد بإحداهما.

فتنة الشبهات من ضعف البصيرة، وقلة العلم، ولا سيما إذا اقترن بذلك فساد القصد، وحصول الهوى، فهناك الفتنة العظمى، والمصيبة الكبرى، فقل ما شئت في ضلال سيء القصد، الحكم عليه الهوى لا الهدى، مع ضعف بصيرته، وقلة علمه بما بعث الله به رسوله ، فهو من الذين قال الله فيهم: (إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوِي الْأَنْفُسُ) (النجم: من الآية 23).

هذه الفتنة مآلها إلى الكفر والنفاق، وهي فتنة المنافقين، وفتنة أهل البدع على حسب مرتب بدعهم. فجميعهم إنما ابتدعوا من فتنة الشبهات التي اشتبه عليهم فيها الحق بالباطل، والهدى بالضلالة.. ولا ينجي من هذه الفتنة إلا تجريد اتباع الرسول وتحكيمه في دين الدين وجله، ظاهره وباطنه ، عقائده وأعماله، حقائقه وشرائعه، فيتلقي عنه حقائق الإيمان وشرائع الإسلام.

أما النوع الثاني من الفتنة ففتنة الشهوات. وقد جمع سبحانه بين ذكر الفتنتين في قوله: (كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلَاقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلَاقِكُمْ) (التوبه: من الآية 69) أي استمتعوا بنصيبهم من الدنيا وشهواتها، والخلق هو النصيب المقدر، ثم قال: (وَحُضْنُتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا) (التوبه: من الآية 69). فهذا الخوض بالباطل وهو الشبهات. فأشار سبحانه في هذه الآية إلى ما يحصل به فساد القلوب والأديان من الاستمتاع بالخلق والخوض بالباطل؛ لأن فساد الدين إما أن يكون باعتقاد الباطل والتكلم به أو بالعمل بخلاف العلم الصحيح. فال الأول هو البدع وما والاه، والثاني: فسق العمل.

ثم قال: فتنة الشبهات تدفع باليقين، وفتنة الشهوات تدفع بالصبر، ولذلك جعل سبحانه إمامية الدين منوطة بهذين الأمرين، فقال: (وَجَعَلَنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ) (السجدة: 24). فدل على أنه بالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين. وبكمال العقل والصبر تدفع فتنة الشهوة ، وبكمال البصيرة واليقين تدفع فتنة الشبهة والله المستعان.

من أسباب الوقوع في الفتنة:

من أول أسباب الوقع في الفتنة استعداد القلب لقبولها كما في الحديث: "تعرض الفتنة على القلوب... وأي قلب أشربها نكتت فيه نكتة سوداء" ، وكذلك قبول السعي فيها، ففي الصحيح: "... الماشي فيها خير من الساعي ، من تشرف لها تستشرفه". أي من تطلع لها صرعته فيها.

وأشد ما يؤجج الفتنة الخوض بالألسنة، يقول القرطبي في تعليل أسباب كثير من الفتن أنها تبدأ: "بالكذب عند أئمة الجور، ونقل الأخبار إليهم، فربما ينشأ من ذلك الغضب والقتل، أكثر مما ينشأ من وقوع الفتنة نفسها".

وكم تكبر الفتنة حينما يبني المرء موقفه على وهم!! وذلك مثلاً حصل مع الصحابيَّين الكريمين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما حينما أشار أبو بكر بتأمير رجل على وفد بنى تميم وأشار عمر بتأمير غيره، فقال أبو بكر: "إنما أردتَ خلافِي" ، وعمر يقول له: "ما أردتُ خلافِك" ، وعلت أصواتهما عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إن راوي الحديث قال: "كاد الخيران أن يهلكَا".

وأخطر ما يقود إلى الفتنة تقديم الرأي على حكم الشرع، فقد جاء في صحيح البخاري أن سهل بن حنيف قال: "أيها الناس اتهموا رأيكم على دينكم...".

وقد تفرّ من الفتنة فيلاحِك أهلهَا وأنت كاره للخوض فيها كما ورد عن أبي الدرداء رضي الله عنه: "إن ناقدت ناقدوك، وإن تركتهم لم يتركوك، وإن هربت منهم أدركوك....".

وقد يكون استلامك لإمارة لا تقدر عليها سبب فتنة لك ولمن معك، ولذلك جزع عمرو بن العاص رضي الله عنه جزاً شديداً لما حضرته الوفاة، وتذكر حياته مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أن قال: "فلو مت حينئذ قال الناس: هنيئاً لعمرو أسلم وكان على خير فمات فرجي له الجنة، ثم تلست بعد ذلك بالسلطان وأشياء، فلا أدرِي على أم لي....".

وإن كنت في موضع القدوة أو الإمرة فلا تحمل الناس ما لا يطيقون، فتفتنهم، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما علم أن معاذاً رضي الله عنه يطيل الصلاة بالناس قال له ثلثاً: "يا معاذ! أفتَانَ أنت؟!"، وفي خطبة لعمر رضي الله عنه قوله "ألا لا تضربوا المسلمين فتلذوهم، ولا تجمّروهم فتفتنوهم، ولا تمنعوه حقوقهم فتكفرونهم".

وإن الانشغال بالقول عن العمل كثيراً ما يفضي إلى كثير من الفتن والمشكلات، يقول ابن تيمية رحمه الله: "إذا ترك الناس الجهاد في سبيل الله فقد يبتليهم بأن يوقع بينهم العداوة، حتى تقع بينهم الفتنة - كما هو الواقع - ، وفي المثل: العسكرية الذي تسوده البطالة يجيد المشاغبات".

إن من آثار الفتنة أنها تُنسى الواقعين فيها حائق يعرفونها وحدوداً كانوا يتزمونها، وإن الواقع في الفتنة تحف تقواه، ويرق دينه، ولذلك حين يُبعدُ أناس عن الحوض كان يظنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من أمره يُحاجَب : "لا تدري مشوا على القهقري" قال راوي الحديث - ابن أبي مليكة - : "اللهم إنا نعوذ بك أن نرجع على أعقابنا أو نفتن".

وفي الحديث الذي يسأل فيه حذيفة عن الشر: "... يا رسول الله الهدنة على الدخن ما هي؟" ؟ قال: "لا ترجع قلوب أقوام على الذي كانت عليه" ، يقول شارح الحديث: "أي لا تكون قلوبهم صافية عن الحقد والبغض كما كانت صافية قبل ذلك".

ترى الرجل العاقل ولا تدري أين ذهب عقله في حال وقوع الفتنة، ينقل ابن حجر حديثاً لابن أبي شيبة في الفتنة: "... ثم فتنة تمواج كموج البحر وهي التي يصبح الناس فيها كالبهائم" أي لا عقول لهم، ويفيد حديث أبي موسى: "تذهب عقول أكثر ذلك

الزمان".

وحيث بين ابن حجر استحباب الاستعاذه من الفتنه، حتى في حق من علم أنه على الحق، علل ذلك بقوله: "لأنها قد تفضي إلى وقوع ما لا يرى وقوعه".

ومن أخطر آثار الوقوع في الفتنة انعدام التأثر بالموعظة، روى أَحْمَدُ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ أَنَّ أَخَاً لِأَبِيهِ مُوسَى كَانَ يَتَسَرَّعُ فِي الْفَتْنَةِ فَجَعَلَ يَنْهَا وَلَا يَنْتَهِي فَقَالَ: "إِنْ كُنْتُ أَرَى أَنَّهُ سِكْفِيكَ مِنِي الْيَسِيرَ - أَوْ قَالَ مِنَ الْمَوْعِظَةِ - دُونَ مَا أَرَى...، بَلْ وَيَسْتَصْغِرُ النَّاسُ الْمَعَاصِيَ". يقول عبد الله بن عمر: "في الفتنة لا ترون القتل شيئاً".

فما سبيل النجاة من الفتنة؟

من المنجيات من الفتنة: أن تتنازل عن حشك في الدنيا، وإن كان الصبر على ذلك شافعاً على النفس، كما جاء في سنن أبي داود: "إن السعيد لمن جنَبَ الفتنة - ثلاثة - ولمن ابْتُلُى فصبر فواهًا"، ومن كانت الفتنة تحيط به ولا منجي له منها فليفر بدينه من الفتنة أو ليكثر من العبادة كما في الحديث : "العبادة في الفتنة كالهجرة إلى..."، والتزود بالأعمال الصالحة مطلوب للوقاية من الفتنة قبل وقوعها، قال صلى الله عليه وسلم: "بادروا بالأعمال فتناً".

يقول النووي في شرح الحديث: "معنى الحديث الحث على المبادرة إلى الأعمال قبل تعذرها، والاشغال عنها بما يحدث من الفتنة الشاغلة المتراكمة المتکاثرة".

ومن كان يملك أسباب الفتنة فليتخلص منها كما جاء في الحديث: "كسروا فيها قسيكم" حتى إن كعب بن مالك رضي الله عنه يذكر في قصة الثلاثة الذين خلفوا؛ كيف جاءه كتاب من ملك غسان وفيه "...قد بلغني أن صاحبك قد جفاك، ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة، فالحق بنا نواسك" يقول كعب: "فقلت لما قرأتها: وهذا أيضاً من البلاء فتيمممت التئور فسجرته بها".

وحاول في الفتنة ألا تكون أميراً فإن أسامة رضي الله عنه كان يقول: "ما أنا بالذي أقول لرجل - بعد أن يكون أميراً على رجلين - أنت خير" يقول ابن حجر : "فكان أسامة يرى أنه لا يتأنّر على أحد، وإلى ذلك أشار بقوله: لا أقول للأمير: إنه خير الناس".

والدعاء بالحماية من شرور الفتنة سبب من أسباب النجاة ففي مسنده أَحْمَدُ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ أَنَّهُ أَرْدَتْ بِعِبَادِكَ فَتْنَةً أَنْ تَقْبِضَنِي إِلَيْكَ غَيْرَ مَفْتُونٍ" وفي دعاء عمر رضي الله عنه : "نعود بالله من شر الفتنة" وقال أنس رضي الله عنه: "عائداً بالله من شر الفتنة".

وينجيك عند الله أن تنكر الفتنة، ولا ترضي بها، ولا تعين عليها، قال صلى الله عليه وسلم: "...وأي قلب أنكرها نكتت فيه نكتة بيضاء حتى يصير القلب أبيض مثل الصفا لا تضره فتنه ما دامت السموات والأرض".

ومن أهم المنجيات أن يفقه المرء دينه، وأن يميز حدود الشرع - دون التباس - فقد نقل ابن حجر عن ابن أبي شيبة حديثاً عن حذيفة يقول فيه: "لا تضرك الفتنة ما عرفت دينك، إنما الفتنة إذا اشتبه عليك الحق والباطل".

ورغم كل هذه الأسباب المنجية وغيرها، لا بد للقلب من أن يبقى معلقاً بالله، وحقاً: "إن السعيد لمن جنَبَ الفتنة" فاجتناب الفتنة حفظ رباني، أكثر من كونه كسباً بشرياً، فخذ بالأسباب واستعن بالله.

المصادر: